بستلم الحجر الاسود فمنعه قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بالهتنا وتمسها فحدث
صلى الله عليه وسلم نفسه ما علي ان نفعل ذلك والله يعلم اني لها لكاره بعد ان
يدعوني حتى استلم الحجر فانزل الله تعالى هذه الاية وروي ان قريشا قالوا
له اجعل اية رحمة اية عذاب واية عذاب اية رحمة حتى نؤمن بك فنزل **وان كادوا**
ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك من امرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا **لتفتري**
اي لتقول **علينا غيره** اي ما لم نقله **واذا** اي لو فعلت ما دعوك اليه
لاتخذوك اي بغاية الرغبة **خليلا** اي لوالوك وصافوك واظهروا للناس انك
موافق لهم على كفرهم راض بشركهم ومن يكن خليل الكفار لم يكن خليل الله تعالى
ولكنك ابصرت رشدك فلزمت امر الله واستمروا على ذلك عامهم اتماما للفضيلة
لك على كل مخلوق **ولولا ان ثبتناك** اي على الحق بعصمتنا اياك **لقد كدت**
اي قاربت **تركن** اي تميل **اليهم** اي الاعداء **شيئا** اي ركونا **قليلا**
لمحبتك في هدايتهم وحرصك على منفعتهم ولكنا عصمناك فمنعناك ان تقرب
من الركون فضلا من ان تركن اليهم لان كلمة لولا تفيد انتفاء الشي لثبوت غيره
تقول لولا زيد لهلك عمرو ومعناه ان وجود زيد منع من حصول الهلاك لعمرو
فكذلك ههنا قوله تعالى لولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم معناه لولا حصل
تثبيت الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان تثبيت الله مانعا من حصول قرب
الركون وهذا صريح في انه عليه الصلوة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة
الداعي اليها ودليل على ان العصمة بتوفيق الله وحفظه **اذا** اي لو قاربت لركون
الموصوف اليهم **لاذقناك ضعف** عذاب **الحيوة وضعف** عذاب
الممات اي مثل ما يعذب غيرك في الدنيا والاخرة وكان اصل الكلام
عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف واقيمت
الصفة مقامه ثم اضيفت كما يضاف موصوفها وقيل المراد بضعف الحياة
عذاب الاخرة وضعف الممات عذاب القبر والسبب في تضعيف هذا العذاب
ان اقسام نعمة الله تعالى في حق الانبيا عليهم الصلوة والسلام كثيرة
فكانت ذنوبهم اعظم فكانت العقوبة المستحق عليها اعظم اكثر ونظيره قوله تعالى
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين
وقيل الضعف من اسما العذاب **ثم لا تجد لك** اي وان كنت اعظم الخلق واعلاهم
مرتبة وهمة **علينا نصيرا** اي مانعا يمنعك من عذابنا واختلفوا في سبب
نزول قوله **وان** اي وانهم **كادوا** اي الاعداء **ليستفزونك** اي ليزعجونك
بمعاداتهم **من الارض ليخرجوك منها** فقال ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم وقالوا يا ابا
القاسم ان الانبيا انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت سكن ابراهيم
فلو خرجت الي الشام امنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج

الاخوف

تشهد وانا بي قد غفرت لهم وقال ابو هريرة رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمع صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين درجة
ويجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة اقرؤ
ان شئتم ان قران الفجر كان مشهودا وهذا يدل على ان التغليس اولى من التنوير
لان الانسان اذا شرع فيها من اول الوقت ففي ذلك الوقت ظلمة باقية فتكون
ملائكة الليل حاضرة ثم اذا امتدت الصلاة بسبب ترتيل القراءة وتكثيرها
زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار واما اذا ابتدا بهذه
الصلاة في وقت التنوير فهناك لم يبق احد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى
المذكور فقوله كان مشهودا يدل على ان التغليس افضل وايضا الانسان
اذا شرع في صلاة الصبح من اول هذا الوقت فكانت الظلمة القوية في
العالم فاذا امتدت القراءة ففي اثناء هذا الوقت ينقلب العالم من الظلمة الى
الضوء والظلمة مناسبة للموت والعدم والضوء مناسبة للحياة والوجود
والانسان لما قام من منامه فكانه انتقل من الموت الى الحياة ومن العدم الى الوجود
ومن السكون الى الحركة وهذه الحالة العجيبة تشهد العقول بانه لا يقدر
على هذا التقليب الا الخالق المدبر بالحكمة البالغة فحينئذ يستنير العقل
بنور هذه المعرفة ويتخلص من مرض قلبه فان اكثر الخلق وقعوا في امراض
القلوب وهي حب الدنيا والحرص والحسد والتفاخر والتكاثر وهذه الدنيا
مثل دار المرض اذا كانت مملوة من المرضى والانبيا كالاطبا الحاذقين والمريض
ربما كان قد يقوى فلا يعود الى الصحة الا بمعالجة قوية وربما كان المريض جاهلا
فلا ينقاد للطبيب ويخالفه في اكثر الامر لان الطبيب اذا كان مشفقا حاذقا
فانه يسعى في ازالة ذلك المرض بكل طريق يقدر عليه وان لم يقدر على ازالته
فانه يسعى في تقليله وفي تخفيفه فلما كان مرض الدنيا مستوليا على الخلق
ولا علاج له الا بالدعوة الى معرفة الله تعالى وخدمته وطاعته وهذا علاج
شاق على النفوس وقل من يقبله وينقاد له لا جرم ان الانبيا اجتهدوا
في تقليل هذا المرض فحملوا الخلق على الشروع في الطاعة والعبودية من اول
وقت القيام من النوم لانه مما ينفع في ازالة هذا المرض ثم حث سبحانه وتعالى
على التهجد لفضيلته وارشد نبيه لقوله تعالى **ومن الليل** اي وعليك اي
وقم بعض الليل **فتهجد** اي اترك الهجود للصلاة يقال هجد وتهجد سهر
فهو من الاضداد ومنه قيل لصلاة الليل التهجد قاله في الصحاح والضمير في
به لمطلق القران والمراد من الاية قيام الليل لصلاة النافلة فلا يحصل التهجد
الا بصلاة نفل وكانت فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى امته في الابتدا
بقوله تعالى يا ايها المزمل قم الليل الا قليلا ثم نسخ بما في اخرها ثم نسخ بالصلوات
الخمس وبقي قيام الليل على الاستحباب بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه

ج